دور الإسلام في دعم العروبة واللغة العربية وجوداً وامتداداً ـ المشاكل والتحديات

أ.د.م. محمود علي العباسي
رئيس قسم اللغة العربية
بكلية التربية والآداب والعلوم بخولان
جامعة صنعاء

المقدمة:
ظهرت في منطقة الجزيرة العربية قبل الإسلام حضارات انسانية موغلة في القدم رفدت الحضارات البشرية الأخرى بعطاء كبير في مختلف جوانب الحياة.
أما لغاتها فتنتسب إلى المجموعة أو ا لأسرة اللغوية الجزرية (السامية)
وما يهمنا هنا هو اللغة العربية كجزء من تلك المجموعة اللغوية بمختلف لهجاتها الجنوبية (بلاد العرب والحبشة) والشمالية المتباعدة والمنفصلة التي تنتسب إلى أمة عريقة قبل الإسلام وبعده.
وعندما ظهر الإسلام حقق للعرب وحدة العقيدة، والوحدة السياسية، وسيادة، اللغة والعربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم وهي لغة التنزيل التي صانها القرآن الكريم، وحفظها وهي اللغة الموحدة للأمة العربية ولسانها الرسمي للتفاهم والتخاطب، وللفكر والثقافة، وللعقيدة والتعليم والإدارة، وللتعامل الاقتصادي والاجتماعي، ولها أهمية بالغة في معرفة الماضي البعيد والقريب، وهي خير معبر عن ا لجانب المعنوي للحضارة القديمة والحديثة، ولولاها لما أستطاع الإنسان العربي ويستطيع كشف الإنجازات العلمية والأدبية، ومراحل التطور وإبداعاته.
إذن هي الدعامة الأساسية للإسلام، وبوساطتها يتعزز وجودنا، وتبرز هويتنا العربية، لتكون اسماً مميزاً عن بقية الأمم والأقوام.
أما هدفنا وغايتنا في هذا البحث فهو الوقوف على الرابطة بين العروبة والإسلام اللذين يمثلان الصلة العضوية التي لا ينفصم عراها، وأنهما صنوان لا يفترقان ويمكن القول أن ا لعروبة جسم روحه الإسلام.
فطبيعي عندما انبثق الإسلام مثل امتداداً طبيعياً للعروبة، لأنه ولد في رحمها ونشأ في حضنها، وعبر عن تطلعاتها وهمومها وآلامها.
وقد واجهت الأمة العربية ـ الإسلامية قديماً وحديثاً ظالمة شرسة من الشعوبية وعقائدها المختلفة عن طريق إثارة الفتن والنعرات الطائفية في إفساد التاريخ العربي الإسلامي وتشويهه، وتجدد خططها المستمرة في التخريب. والهدم، وإضعاف الرابطة بين العرب والإسلام، بدافع تشويه تاريخ أمتنا العربية الإسلامية الصافي المشرق.
واليوم بودنا أن نطرح هذا الموضوع من أجل إثارة قضايا أساسية تمثل عامل تحريض للقادرين على الدراسة لكي يد لوا بدلوهم بماله علاقة بهذه الموضوعات الحيوية والمهمة للوصول إلى حقيقة مفادها الفهم والتفاهم بين أفراد الأمة العربية ، وفسح الحوار المنفتح القائم على أساس التسامح والمحبة ، وبعيداً عن الجمود الفكري، ونبذ الأحقاد والضغائن، والتخلي عن ا لتناحر والاقتتال بغية محاربة الأعداء.
وعليه سأتناول في هذا البحث بالدراسة بعض المفاهيم، ومعالجة الموضوع معالجة تقوم على الوصف والتحليل والدراسة العلمية والمقارنة، مع الاستدلال والتمثيل والبرهنة والتوثيق لبيان ذلك الترابط القوي والصلة الوثيقة بين العروبة والإسلام.
ويتضمن البحث النقاط الآتية :
المقدمة
المبحث الأول : يتضمن :
أولاً :مفهوم الإسلام
ثانياً :مفهوم العرب والأعراب
ثالثاً : مفهوم العروبة
رابعاً : مفهوم اللغة
المبحث الثاني : يتضمن :
أولاً : اختيار العرب لرسالة الإسلام
ثانياً : فضل العرب ودورهم المميز في القرآن والسنة.
ثالثاً: امتداد العرب والإسلام.
رابعاً : التصوير القرآني
المبحث الثالث : يتضمن :
أولاً : بداية التوجهات المعادية للعرب والإسلام.
ثانياً: المشاكل والتحديات
ندعو الباري عزوجل ـ أن يبارك الجهود لخدمة أمتنا العربية ـ الإسلامية، والعقيدة السمحاء الرضية، وأن يأخذ بأيدينا الى ما فيه الخير، إنه سميع مجيب.

قبل الخوض في مضمار الموضوع "دور الإسلام في دعم العربية واللغة العربية وجوداً وامتداداً"،لابد لنا من الوقوف على المفاهيم الرئيسية التي لها علاقة بالموضوع،لنبين الروابط القوية التي تربط بعضها بالبعض الآخر.

المبحث الأول :

أولاً : مفهوم الإسلام:

الإسلام يشكل العقيدة الأساسية، وهي الإيمان بوحدانية الله تعالى، وأنه على كل شيء قدير، وخضوع الإنسان لأوامره ونواهيه، وتنظيم علاقته بربه بالمجتمع على وفق ما رد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والتشريعات التي تستند إلى هذين المصدرين العظيمين.

وقد جاء عن الأستاذ عبدالرزاق السنهوري :"أن الكتاب والسنّة هما المصادر العليا للفقه الإسلامي، أي أنها تنطوي في كثير من الأحيان على مبادئ عامة ترسم للفقه اتجاهات، ولكنها ليست في الفقه ذاته، فالفقه الإسلامي هو من عمل الفقهاء، صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وثيقة القانون المدني"[1].

والإسلام لم يقاوم الشرك ويدعو إلى الوحدانية وتوحيد العرب ومقاومة العصبية القبلية والعادات السيئة فحسب، وإنما سنَّ قوانين مهمة على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي،فدعا إلى العدالة والمساواة وإلغاء التمييز العنصري والظلم والاستغلال والاستكبار، وأهتم بالفقراء والمساكين والمستضعفين وإنصافهم ورفع مستواهم،وتأكيده على القيم الإنسانية الإيجابية كالمحبة والتعاون والإخلاص والصدق،وشرع قوانين الزواج والطلاق والإرث والعقوبات، وتفهم واقع المجتمع العربي،ومعالجة مشكلاته وتطلعاته بحكمة ومرونة وواقعية وأمور أخرى كثيرة لا يتسع المجال هنا لذكرها.

وعندما نتحدث عن صلة الإسلام بالعروبة لا بد أن يبقى ماثلاً في الذهن ذلك التراث الثقافي والحضاري الضخم الذي تكون على مر العصور والأزمنة، وأصبح يعرف باسم الحضارة العربية ـ الإسلامية، حيث تفاعلت مع كثير من الحضارات البشرية التي عاصرتها وبخاصة تلك التي جاورتها.

ثانياً : مفهوم العرب والأعراب:

اختلفت الآراء وتضاربت بشأن مفهوم العرب والأعراب الذين ورد ذكرهما في القرآن الكريم والسنة وفي أقوال الصحابة ودواوين الشعر والمعاجم والقواميس، مما اقتضى الأمر جلي الحقيقة عند تلك الألفاظ وشخصية العربي والأعرابي.

لقد ورد لفظ الأعرابي في اللغة: البدوي، وهم الأعراب، والأعاريب: جمع الأعراب، وليس الأعراب جمعاً لعرب، والنسب إلى الأعراب أعرابي لأنه لا واحد له على هذا المعنى كونه اسم جنس.

وقال الأزهري : ورجل أعرابي إذا كان بدوياً، صاحب نجعة وانتواء وارتياد للكلأ و وتتبع لمساقط الغيث، وسواء كان من العرب أو من مواليهم، ويجمع الأعرابي على الأعراب والأعاريب.

ويقال رجل أعرابي: إذا نسب إلى أنه من أعراب البادية، وعربي إذ نسبته إلى آبائه من العرب، فإذا كان يتكلم بالعربية وهو من العجم قلت عرباتي.

وفي الحديث من بدأ جفا[2] أي نزل البادية صار فيه جفاء الأعراب.

وجاء في المغرب[3]: عرب: (العربي، واحد العرب، وهم الذين استوطنوا المدن والقرى العربية).

والأعراب: أهل البدو، واختلف في نسبتهم، والأصح أنهم نُسبوا إلى (عَرَبَة)[4] بفتحتين وهي تهامة لأن أباهم إسماعيل عليه السلام نشأ بها، ويقال: (فرس عربي) و (خيل عِراب)، فرقوا في الجمع بين الأناسي والبهائم.

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تستضيئوا بنار المشركين، ولا تنقشوا في خواتمكم عربياً، أي نقشاً عربياً، يعني لا تشاورهم ولا تكتبوا "محمد رسول الله") عن الحسن البصري.

وعن عمر رضي الله عنه: "لا تنقشوا فيها بالعربية"، وعن ابن عمر رضي الله عنه: "أنه كره أن ينقش عليه بالقرآن".

في الحديث: "لا تَعَرُّب بعد الهجرة" أي لا رجوع إلى البدو بمعنى البداوة، وأن يصير أعرابياً، وذلك أنه كان رده في ذلك الزمان منهي عنه.

وجاء في لسان العرب: والأعرابي إذا قيل له: يا عربي فرح بذلك وهش له، والعربي إذا قيل له: يا أعرابي غضب له، فمن نزل البادية أو جاور البادين وظعن بظعنهم،وانتوى بانتوائهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها فمن ينتمي إلى العرب فهم عرب، وإن لم يكونوا فصحاء[5].

وأخرج البخاري (ت 256هـ) في صحيحه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوصى الخليفة من بعده بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصاه بالأنصار خيراً الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصاه بأهل الأمصار خيراً فإنهم ردء الإسلام، وجباة الأموال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصاهم بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام أن يأخذ من حواشي أموالهم فيرد على فقرائهم"[6].

فهذا النص مهم كونه يقسم العرب ثلاثة أقيام مهاجرين وأنصاراً وأعراباً، ولكن الشيء الذي يجلب الانتباه إليه أن الأعراب هنا هم أصل العرب، ومادة الإسلام، وهذه العبارة الأخيرة (الأعراب) أصل العرب ومادة الإسلام، والمنسوبة إلى عمر رضي الله عنه، أياً كانت صحة نسبتها يبدو أنها قديمة وابتعدت عن البداوة والتحضر التي ظهرت أبان الصراعات السياسية والاجتماعية في عصر الفتوحات، ولدينا تعليق سيرد لاحقاً بهذا الشأن.

وورد في المفردات في غريب القرآن أن الأعراب غير العرب، وإن كانت كلمة (عرب) مشتقة من ذات المصدر اللغوي الذي اشتقت منه كلمة (أعراب) مادة عرب : العرب ولد إسماعيل والأعراب جمعه في الأصل، وصار ذلك اسمه لمكان البادية.

وورد في معجم اللغة: "فأما الأمة التي تسمى العرب فليس ببعيد أن يكون سميت عرباً من هذا القياس لأن لسانها أعرب الألسنة، وبيانها أجود البيان، ومما يوضح هذا الحديث الذي جاء فيه: "أن العربية ليست باباً واحداً لكنها لسان ناطق".

وكذلك جاء في لسان العرب: "العربي منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً... ورجل أعرابي بالآلف إذا كان بدوياً... وسواء كان من العرب أو من مواليهم.. وكل من سكن بلاد العرب وجزيرتها، ونطق بلسان أهلها، فهم عرب يمنهم ومعدهم...

قال الأزهري: المستعرب عندي قوم من العجم ودخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وحكوا هيئاتهم وليسوا بصرحاء فيهم، وقال الليث مثل استعربوا وقال الجاحظ:.. (وقد جعل إسماعيل (ص) وهو ابن أعجميين عربياً، لأن الله فتق لسانه بالعربية المبينة، ثم حباه من طبائعهم ومنحه من أخلاقهم، وطبعه من كرمهم وأبقتهم وهممهم)[7].

وقال ابن تيمية واسم العرب في الأصل كان اسماً لقوم جمعوا ثلاثة أوصاف، أحدها: أن لسانهم كان بالعربية، والثاني: أنهم كانوا من أولاد العرب، والثالث: أن مساكنهم كانت أرض العرب وهي جزيرة العرب، فلما جاء الإسلام وفتحت الأمصار وسكنوا سائر البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب.. وما ذكرنا حكم اللسان العربي وأخلاق العرب يثبت لمن كان كذلك، وإن كان أصله فارسياً وينتفي عمن لم يكن كذلك وإن كان أصله هاشميا...(8).

ويروي ابن تيمية أيضاً لشخصيات بارزة من السلف لقوله:

"عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي قال: "من ولد في الإسلام فهو عربي" وهذا الذي يروي عن أبي جعفر: لأن من ولد في الإسلام فقد ولد في دار العرب واعتاد خطابها.. وروي أيضاً عن هاشم بن حسان عن ابي هريرة قال "ومن تكلم بالعربية فهو عربي، ومن أدرك له أثنان في الإسلام فهو عربي" هكذا فيه، وأظنه: "ومن أدرك له أبوان، فهنا أن صح هذا الحديث فقد علقت العربية فيه بمجرد اللسان، وعلقت في النسب بأن يدرك له أبوان في الدولة الإسلامية العربية"(9).

ثالثاً : مفهوم العروبة:

وأما في لغة هذا العصر فالعروبة تعني الهوية العربية، أي كل ما يميز العرب ويعطيهم هويتهم والابتعاد عن العرقية والعنصرية.

والعربي هو من كانت لغته العربية وانتسابه إلى الأمة العربية، وهذا منسجم مع قول الرسول العربي: "يا ايها الناس إن الرب واحد، والأب واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي(10).

ويقول ماردو: (إن العروبة تركز على اللغة أكثر ما تركز على أي عامل آخر، فعنوان للروابط المشتركة بين العرب، وكعنوان لمصير مشترك يجمع كل العرب)[11].

مفهوم اللغة:

اللغة ظاهرة اجتماعية تتوافر فيها خصائص الظواهر الإجتماعية، وتتأثر في جميع مناحيها بجميع ظواهر الحياة الاجتماعية، كما تؤثر هي بدورها في هذه الظواهر[12].

فاللغة تنمو وتزخر داخل موضع اجتماعي معين على أنها نتيجة التفاعل المتبادل مع البيئة.

ولقد وصف (جون كارولJohn Carol)[13] اللغة بأنها ذلك النظام المتشكل من الأصوات اللفظية الاتفاقية Arbitrary وتتابعت هذه الأصوات التي تستخدم في التواصل بين جماعة من الناس التي يمكن أن تصنّف بشكل عام الأشياء والأحداث والعمليات في البيئة الإنسانية.[14]

ويرى شارل مالك "أن اللغة هي أيضاً من الفئات التي تنظم بها مفرداتها وفي تركيب جملها يبنيان منطقي، وإذن فالمنطق والرياضيات وتراكيب اللغة syntax، هذه الثلاثة تؤلف عالماً واحداً متواصلا لهما.[15]

ويمكن تحديدها "بأنها نظام من العلامات الصوتية الإصطلاحية".

وأنها "جزء من العلامات السميولوجيا" كما يذهب إليه سوسير ويفصل بين اللغة باعتبارها نظاماً من العلامات الصوتية الاصطلاحية وبين أي نظام من العلامات ومنه نظام العلامات الكتابية.[16]

ولقد تناول العلماء العرب القدامى موضوع اللغة من حيث تعريفها ونشأتها وتطورها ومستوياتها الصوتية والتركيبية والصرفية والدلالية والمعجمية والأسلوبية وكل ما يتعلق بها.

لهذا أبو الفتح عثمان بن جني (292هـ) من علماء القرن الرابع الهجري ذكر اللغة بتعريفه المشهور في كتاب الخصائص عن اللغة لمعرفة اللغة الإنسانية، يقول في "باب القول على اللغة وما هي: "أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قدم على أغراضهم".[17]

ويشتمل هذا التعريف الدقيق كثيراً من الجوانب المميزة للغة فقد أكد الطبيعة الصوتية للغة، وذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ونقل الفكر، وأنها تستخدم في مجتمع، فلكل قوم لغتهم وأنها تعبير عن أغراض".

وهذا ابن خلدون يعرف اللغة في مقدمته: "اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهي في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم[18].

فتعريف ابن جني، وتعريف ابن خلدون يثيران دهشة الباحثين لما يقتربان اليوم اقتراباً شديداً من تعريفات المحدثين، ويشملان معظم جوانب التعريفات التي عرضها "علم اللغة الحديث".

فالعرب دقيقون باستعمال الألفاظ كما هو الحال عند ابن جني الذي استخدم الألفاظ: (أصوات) وقصر اللغة على (الأصوات) وإخراج الكتابة منها باعتبار اللغة منطوقة قائمة على الأصوات شأن أصحاب "علم اللغة" فهي "نظام من الرموز الصوتية".

و(قوم) مقابل (مجتمع) في العصر الحديث، على أنها ظاهرة اجتماعية كما توضحت عند الأجانب الذين مرّ ذكرهم.

وقد عبر عن ذلك أيضاً فندريس بقوله: "في أحضان المجتمع تكونت اللغة، ووجدت اللغة يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم،... فاللغة وهي الواقع الاجتماعي بمعناه الأوفى، تنتج من الاحتكاك الاجتماعي، وصارت واحدة من أقوى العرى التي تربط الجماعات، وقد دانت بنشوئها إلى وجود احتشاد اجتماعي[19]، وفندريس يرى أيضاً أنه " أعم تعريف يمكن أن يعرف به الكلام أنه نظام من العلامات، وبعد مقارنة اللغة بالأنظمة الأخرى،من العلامات التي يمكن أن تسمى لغات مثل لغة الشم ولغة اللمس ولغة البصر" ويتابع ويقول: أن هناك "لغة من بين اللغات الممكنة تطغي على جميع ما عداها بتنوع وسائل التعبير التي في طوقها وهي اللغة السمعية التي تسمى لغة الكلام أو اللغة الملفوظة".[20]

بعد أن تناولنا اللغة من خلال تعريفات بعض المختصين من عرب وأجانب قدامى ومحدثين نقول:إن للغة وظيفة أساسية هي التعبير عن الأحاسيس, وتبليغ الأفكار من المتكلم/ المرسل إلى المخاطب/ المتلقي فهي وسيلة التفاهم بين البشر وأداة لاغنى عنها للتعامل بها في الحياة, وأن استخدام اللغة داخل القوم/ المجتمع دليل على أنها مكتسبة.

وترتبط اللغة بالأمة التي يكتسب الإنسان منها لغته ارتباطاً وثيقاً و تعبر عن هويتها ووجودها, وعن الجانب المادي لحضارتها وتاريخها وبها يتم الكشف عن ماضيها وحاضرها ومستقبلها وتسجيل إنجازاتها الحضارية و أنشطتها المختلفة.

"واللغة هي قوام الأمة, وقوام كياناتها التاريخية والحضارية القومية, ليست أداة تخاطب اجتماعي فحسب, ولا مستودعاً للأفكار والرموز والقيم الجمالية فحسب, أنها فوق ذلك المستقبل, من لا لغة له, أو من أضاعها في لجة الاستلاب وأودعها في المتحف, يصنع الآخرون مستقبله. فالناس الذين لا يجيدون لغتهم منهم بعيدون عن واقعهم وشعبهم[21].

"فاللغة لا يقتصر دورها على تبليغ أفكار معينة فقط, بل أنها تحمل من طياتها الفكر نفسه لأنها كما تستمد وجودها ودلالتها من أعماق الإنسان فكره والآمه, تحرك الحياة, وتسخرها هذا الوجود وهذه الدلالات في مسارات الفكر التاريخية والحاضرة[22]"

وأن اللغة تجسد الهوية وتمثل الشخصية الوطنية للأمة التي تتكلمها "وهي تمثل السيادة الوطنية والقومية, فلغتنا القومية هي جزء من سيادتنا ولا يمكن التنازل عنها إلا إذا كنا على استعداد لنتنازل عن سيادتنا".[23]

أما لغتنا العربية " فهي صدى الحياة الاجتماعية للشعب العربي، وأنها روح الأمة ووعاء الحضارة والثقافة كما يرى الكواكبي الذي يقول :"يستدل على عراقة الأمة في الاستبداد والحرية باستنطاق لغتها هل هي كثيرة ألفاظ التعظيم غنية في عبارات الخضوع كالفارسية مثلاً،أم فقيرة من هذا الباب كالعربية"[24]

ولهذا فأن دراسة اللغة العربية لما وصلنا من الشعر الجاهلي والنزر اليسير من النثر تلقي الضوء على مدى ما وصلت إليه من تقدم حياة العرب وتطورها الاجتماعي والفكري, وهذا ما يعززه أن أمة القرآن التي تميزت بالأعجاز والبيان هي اللغة التي استخدمها عرب الجاهلية.

يقول ابن خلدون: " إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم, فكانوا يفهمونه, ويعلمون معانيه, في مفرداته وتركيبه".[25]

فجاء أسلوب القرآن بالمخاطبين واضحاً ومفهوماً كونه يعبر عن واقعهم وتطلعاتهم وما يحتاجون إليه على وفق مداركهم وتفكيرهم وفهمهم.

وما من تقدم علمي أو ثقافي أو أدبي وصل إليه الإنسان إلا وكان للغة فاعليتها الحيوية في خلق الإنسان إلى الحياة, ويرى ما فيها من أشياء جميلة وزاهية, ويعرف كل ما يجري في الحياة من أمور حسنه أو سيئة, وعن طريقها أيضاً يدرك الإنسان متاهات الحياة ومجالها ويأخذ منها ما يفتح أمامه سبل الخير والنجاح والتقدم والرقي".

كما يدفعه إلى تجنب ما يقود إلى الجهل والظلام والفقر والضياع, لأنها بحد ذاتها تعد لصاحبها سلاحاً قوياً يحميه من غول الجهل, وتكون له عوناً على التغلب على الزمن.

وإذا أردنا أن نبين دور اللغة العربية في تلاحم العروبة والإسلام هناك حقيقة ثابتة تتمثل في كثير من الآيات القرآنية التي تؤكد ذلك ولا يمكن أن يشك في صحتها إنسان حيث وردت كلمة (العرب) على أنها علامة فارقة تميزهم عن بقية الأقوام.

وفي الآيات المختلفة دليل واضح على أن القوم كان لهم إدراك لهذا المعنى قبل الإسلام أو أنهم كانوا ينعتون لسانهم باللسان العربي, وأنهم كانوا يطلقون على ماعداه "لسان أعجمي" كالآيات التالية:

- { إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }.(26)
- و{ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }.(27)
- و{ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ }.(28)
- و{ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ}.(29)
- { وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ }.(30)
- و{ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنْ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً }.(31)
- و { قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ }.(32)
- و { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ }.(33)
- و { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }.(34)
- و { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ }.(35)
- و { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}.(36)

ففي هذه الآيات دلالة على أن العرب كانوا يطلقون على لسانهم قبيل الإسلام اللسان العربي, وفي ذلك أيضاً حس بالانتماء العربي, ودلالة واضحة وصريحة على أن القرآن نزل بلغتهم.

اختيار العرب لرسالة الإسلام:

كان المستوى الفكري والسياسي والنفسي للعرب يؤهلهم لاستقبال الدين الجديد (الإسلام) ليسلموا ويؤمنوا به أفواجا أفواجاً واشتد ساعدهم وقوت عزيمتهم أن يثبتوه وينشروه في الأصقاع ويحملوا لوائه، ووجدوا في القرآن أفضل المصادر وأصدقها لمعرفة أوضاعهم المختلفة.

وإن نزوله باللغة العربية لم يكن صدفة واعتباطاً بل عن حكمه ولأسباب ومبررات اجتماعية وتاريخية، وقد ورد في التنزيل : (الله أعلم حيث يجعل رسالته).(37)

أي أن الله سبحانه وتعالى ولحكمة منه أدرى يوضع رسالته في المكان والزمان المناسبين.

فالدين الإسلامي نزل بلسان النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبلغه قومه ((وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)) (38)

ويقول الطبري في تفسير الآية ((يقول تعالى ذكره وهكذا وأحينا إليك يا محمد قرآناً عربياً بلسان العرب لأن الذين أرسلتك إليهم قوم عرب فأوحينا إليك هذا القرآن بألسنتهم ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره لأنا لا نرسل رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم)).(39)

ثم يتابع ويقول: (غير جائز أن يخاطب جل ذكره أحداً في خلقه إلا بما يفهمه المخاطب، لأن المخاطب والمرسل إليه إن لم يفهم ما خوطب به وأرسل به إليه فحاله قبل الخطاب وقبل مجيء الرسالة إليه وبعده سواء)(40).

وكذلك فإن اصطفاء العرب لرسالة الإسلام أنهم كانوا مؤهلين لفهم تلك الرسالة والإيمان بها والدفاع عنها وقادرين على نشرها كما اثبتت الوقائع اللاحقة بها. وما كان لها أن تعيش وتستمر وتنجح وتنتشر لو أنزلت على شعب غير المجتمع العربي.

فالآيات تفصح عن مدلولها: (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (195) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ (196) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (197) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ (198) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ).(41)

والآية (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ).(42)

وقد أكد الزمخشري في تفسيره الحاجة إلى مراعاة طبيعة المجتمع أو القوم الذي تنزل إليهم الدعوة ويظهر منهم النبي أو الهادي ومن الواضح في هذه الآيات أن كلمة العربي الواردة فيها لا يقتصر معناها على الجانب اللغوي بل يكون المعنى أوسع وأشمل وهو المضمون ا لعربي والنظرة ا لعربية إلى الحياة. (43)
وفي قوله تعالى (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً) (44) أي ليتم الحكم بين الناس.
وذهب الزمخشري في تفسير كلمتي (حكماً عربياً) بمعنى حكمة عربية،(45) وكذلك فسرها الطبري، يقول تعالى ذكره (وكما أنزلنا عليكم يا محمد فأنكره بعض الأحزاب، كذلك أنزلنا الحكم والدين حكماً عربياً) وهذا دليل على أن كلمة (الحكم) تدل على العلم والفقه والقضاء بالعدل في لسان العرب.(46)
أما الآية: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) (47)فمنطلق الدعوة أن يتوجه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قومه العرب، وأن يبتدئ بالأقربين منهم، وكذلك نزلت آية خاصة بقريش ضمن الله لهم الطعام والأمن بفضله تعالى.
(لِإِيلافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) (48)وفي آية أخرى تبين أن الله سبحانه وتعالى بعث بنبي من العرب (نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وأمانته).
وهذا ما دفع الدكتور/ محمد أحمد خلف الله أن يقول : (إن الإسلام ليس إلا النظام الدين للأمة العربية أولاً وقبل كل شيء النظام الذي نزل من السماء ليكون البديل عن الأنظمة الأخرى التي كانت الأمة العربية تمارس حياتها على أساس منها).(49)
فضل العرب ودورهم المتميز في القرآن والسنة:

1- في القرآن الكريم:

إن العرب هم الذين بنوا أول دولة إسلامية في صدر الإسلام على وفق الشريعة السمحاء وهم الرواد والسباقون والمضحون من أجل الدين الحنيف الذي ولد في رحم العروبة وترعرع في أحضانها وتغذى من معينها وتغذت منه، وانتشرت وتوسع على تضحيات أبنائها، فأكثر المجاهدين الذين حملوا لولاءه إلى خارج الجزيرة العربية كان منهم وهذا فضل يسجل لهم من الله سبحانه وتعالى للدور المتميز الذي أدوه من بدايته حتى أصبح قوة وعدداً يستأثر بقلوب الملايين وبخاصة من الأنصار والمهاجرين.(50)
كما جاء في قوله تعالى (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) أي أن نزول القرآن الكريم شرف لك ولقومك لنزوله بلغتهم سوف تسألون عن القيام بحقه، و (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) في أية أخرى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً) (51)
لو دققنا في هاتين الآيتين لوقفنا على حقيقة مفادها أن الأمة العربية – الإسلامية التي أختارها الله واصطفاها واجتباها وأثنى عليها من دون سائر الأمم كونها أمة الرسالة هي التي تستحق أن تكون خير الأمم وأن تكون الشاهدة على سائر الأمم بين يدي الله سبحانه وتعالى.(52)
والشهادة هنا لا تكون إلا من عدول مرضي عنهم، والوسطية أي "العدل والخيار والخيرية والحكمة واليسر والاستقامة والبينية.
فإذا خصصنا السمات الثلاث الأول (العدل والخيار والخيرية)،
فالسمة الأولى (العدل): لا يستشهد إلا العدول من الناس، أما غير العدول فمطعونه شهادتهم، ولا يقبلها حتى البشر، فكيف بالشهادة بين يدي الله سبحانه وتعالى يوم المحشر.
السمة الثانية: الخيار: أي الأفضل من الناس.
أما السمة الثالثة: الخيرية: بمعنى أنكم خير الناس، ويشهد لهذا المعنى قول الحق سبحانه وتعالى كما ورد في الآية (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ الْفَاسِقُونَ) (53)
فبهذه الأمور الثلاثة العظيمة القدر كانت هذه الأمة وبالإضافة إلى أمور أخرى كثيرة لم نذكرها لنضيف الوقت أهلت الأمة لهذه السمات، ولم تنلها لا صدفة ولا محاباه، وإنما نالتها لكونها تستحق أن تكون فعلاً خير أمة كما وصفها الله سبحانه وتعالى، وهذا من أعظم مابه كانت هذه الأمة خير الأمم، وقد أمرها الله أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وأن يكون فيها من يقوم بذلك كما جاء في قوله تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ) (54)
أما الوسط فقد ذكره الطبري بقوله (أما الوسط في كلام العرب: الخيار يقال عنه: فلان وسط الحب في قومه، أي متوسط الحب، إذا أرادوا بذلك الرفعة في حبه وهو وسط في قومه. (55)
لا شك أن المراد بالوسط طريقة المدح لهذه الأمة لأنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى وصفاً ويجعله كالعلة في أن جعلهم شهوداً له، ثم يعطف على ذلك شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا وذلك مدح مثبت، وأن المراد بقول (وسط) ما يتعلق بالمدح في باب الدين، ولا يمدح الله الشهود حال حكمه عليهم بأنهم شهود ألا بكونهم عدولاً.
فالحمد لله على هذه النعمة العظيمة التي أمتن الله بها علينا بأن جعلنا في (خير أمة أخرجت للناس).

2- في السنة النبوية الشريفة:

أما في السنة لتطلع على بعض الأحاديث النبوية الشريفة التي توضح حب الرسول صلى الله عليه وسلم للعرب ومبررات اختيارهم لرسالة الإسلام لفضلهم المتميز ودورهم الكبير.
وقد أهتم أحمد بن حنبل وتلاميذه بجمع تلك الأحاديث بالإضافة إلى آخرين جزاهم الله خيراً، ونختار من هؤلاء الحافظ زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي في كتابه (القرب في محبة العرب) ونختار منه بعض الأحاديث(56)
جاء في مقدمته (الحمد لله الذي فضل العرب يبعثه نبيهم سيد البشر نبياً. وأنزل أحسن الكتب بلغتهم قرآناً عربياً وجعل لسان أهل الجنة بالعربية فكان لسان صدق عليا..
وبعد: فقد أوجب الله – عز وجل – على الخلق حب العرب ونصحهم وحرّم عليهم بغضهم وغثهم، فجعل حبهم حب الرسل، وإيماناً موجباً لحصول السُّول. وجعل بغضهم نفاقاً ومفارقة للدين).

- من أن الله عز وجل تخير العرب من خلقه:
((وخلق الخلق، فاختار من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم)).
- فيما ورد من أبو العرب:
"سام أبو العرب، وحام أبو الحبش، ويافث أبو الروم".
- في أن حب العرب حب للنبي صلى الله عليه وسلم:
((حب العرب إيمان وبغضهم كفر، من أحب العرب فقد أحبني، ومن أبغض العرب فقد أبغضني)).
- في قوله عليه الصلاة والسلام : أحبوا العرب لثلاث..... ((أحبوا العرب لثلاث، لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي)).
- في أن بقاء العرب نور في الإسلام:
((أحبوا العرب وبقاءهم، فإن بقاءهم نور في الإسلام، وإن فناءهم ظلمة في الإسلام)).
- في أن ذلهم ذل للإسلام: ((إذا ذلت العرب ذل الإسلام)).
- في أن بغض العرب مفارقة للدين:
و((يا سلمان، لا تبغضني فتفارق دينك.)) قلت: يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله عز وجل ! قال: "تبغض العرب فتبغضني".
- في أن حبهم إيمان وبغضهم نفاق: ((لا يبغض العرب إلا منافق)).
- في وصيته عليه الصلاة والسلام بالعرب:
((يا علي أوصيك بالعرب خيراً، أوصيك بالعرب خيراً)).
- في أن من غش العرب لم تنله شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم : ((من غش العرب لم يدخل في شفاعتي، ولم تنله مودتي)).
- في أن هلاك العرب من أشراط الساعة:
((إن من اقتراب الساعة هلاك العرب)).
- في قلة العرب عند خروج الدجال:
((ليفرن الناس من الدجال في الجبال)) قالت أم شريك: يا رسول الله، فأين العرب يومئذ؟ قال ((هم قليل)).
- في دعائه عليه الصلاة والسلام للعرب:
((إني دعوت للعرب فقلت : أللهم من لقيك منهم معترفاً بك فأغفر له أيام حياته، وهي دعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام. وإن لواء الحمد يوم القيام بيدي، وإن أقرب الخلق من لوائي يومئذ العرب)).
- في قوله عليه السلام أنا سابق العرب:
((أنا سابق العرب إلى الجنة وصهيب سابق الروم إلى الجنة وبلال سابق الحبشة إلى الجنة وسلمان سابق فارس إلى الجنة)).
- فيما ورد أنه لم ينزل وحي على نبي إلا بالعربية:
((والذي نفسي بيده، ما أنزل الله – عز وجل – وحياً قط على نبي من الأنبياء إلا بالعربية، ثم يكون ذلك النبي بعد يبلغ قومه بلسانهم)).
- في أن كلام أهل الجنة بالعربية:
((أنا عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي)).
- في أن من يحسن العربية ويتكلم بالفارسية نفاق:
((من أحسن منكم أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالفارسية، فإنه يؤرث النفاق)).
- فيما ورد أن الكلام بالفارسية نقص في المروءة:
((من تكلم بالفارسية زادت في جِنّة، ونقصت من مروءته)).

وهذه المحبة التي أولاها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم للعرب لم تأت من فراغ وإنما لدورهم العظيم في مساندته وحمل لواء الإسلام والدفاع عنه فضلاً عن أنه منهم ونزلت الرسالة بلغتهم وفي رقعتهم الجغرافية، وقد اشرنا إلى هذا سابقاً وبيننا المبررات وكما ورد في لغة التنزيل، (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)[57] و(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ) [58]و (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) إضافة إلى آيات أخرى نزلت بهذا الصدد لتظهر الصلة بين العروبة والإسلام وهي صلة عضوية قوية كالشجرة التي تنبت في أرضها، وأنهما وجهان لعملة واحدة،أو صنوان لا يفترقان،أو عندما يقال أن "العروبة جسم روحه الإسلام".

لهذا كان الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم شديد الحرص للاتصال بالعرب والاحتكاك بهم باستمرار ويدعوهم إلى الله من خلال جلساته الدائمة معهم والمواسم والرحلات، وظل قريباً منهم إلى آخر لحظة في حياته يبعث في نفوسهم الإيمان والاطمئنان والسكينة والاستقرار كما تشير الآيات إلى قبيلة قريش وهم الأقربون إليه.

(لإِيلاَفِ قُرَيْشٍ (1) إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)) [59].

والآية: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ).[60]

وبهذا قال جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لرسول كسرى: (إن الله بعث فينا نبياً نعرف نسبه وصفته وفضله ومخرجه وصدقه وأمانته).

وهذه التوجيهات التي يتمتع بها رسول الأمة بين قومه تعزز عما يتحسس به العرب ويتطلعون إليه، وقد زرعوا ثقتهم العالية به وتمسكوا بالدين الجديد الذي يعبر عن آمالهم في الحياة ويتمثل ذلك بالنبتة الطيبة التي لا تنمو بغير أرض خصبة، وهم دون شك العرب الذين أبلغهم الله بالرسالة وهم القادرون على حمل لوائها والدفاع عنها وتنفيذ ما جاء بها ليؤكدوا ترابطهم القوي مع الإسلام وعلى هذا الأساس أحاط القرآن الكريم العرب بالتقدير والمكانة الرفيعة كما في قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) [61]فالإنسان العربي الذي تتمثل فيه هذه الخصال الحميدة تؤهله لتصديق الرسالة والجهاد والتضحية من أجلها.

والحقيقة أن معظم الذين دخلوا الإسلام بقوا على نجدتهم وصبرهم أشداء أقوياء لنصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمروا طوال حياتهم على الإخلاص للإسلام، وما يعزز هذا التوجه ورد في صحيح البخاري عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا".

وقد أشار إلى هذا ابن تيمية عن العرب بقوله "أنهم كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير معطلة عن فعله ليس عندهم علم منزل من السماء"[62].

امتداد العرب والإسلام:

إن ما تحقق للعرب بفضل الإسلام كان نصراً مؤزراً لهم وتعزيزاً لوجودهم، وتثبيتاً للرسالة المحمدية السماوية، فإن امتداد العرب والإسلام إلى خارج الرقعة الجغرافية العربية ونشر الدعوة يعد امتداداً طبيعياً لما امتلكوا من قدرة وآفاق فكرية تؤهلهم للتوسع وذلك بسبب القيم الإنسانية الإيجابية التي يحملونها والثقة بالنفس والاستعداد على البذل والعطاء مع ضخامة الأهداف وسمو المبادئ التي تعكس انطباعاً إيجابياً عند الآخرين،بعد أن كانت العصبية القبلية هي السائدة، وما رافقها من منازعات وصراعات حالت دون تحقيق الوحدة السياسية، كما جاء في قوله تعالى: ((وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))[63].

فالإسلام حقق للعرب وحدة العقيدة ثم الوحدة السياسية، وعززها بتوحيد الثقافة والفكر واتسعت مداركهم وتبلورت أفكارهم بلغة التنزيل القرآن الكريم الذي صان اللغة العربية وحفظها ودعم وجودها، ووسع من انتشار العقيدة حتى تجاوزت العرب إلى شعوب أخرى غير عربية آمنت بالإسلام، ومع هذا الامتداد امتدت الثقافة العربية إلى تلك الشعوب، فتجابوا معها وتعاطفوا مع أهلها، وسادت اللغة فأصبحت العربية اللغة الرسمية للتفاهم والتخاطب والفكر والثقافة ولغة العقيدة والتعليم والإدارة، ولغة التعامل الاقتصادي والاجتماعي، والحقيقة فإن العرب أخذوا على عاتقهم نشر الرسالة واندفعوا بحماس منقطع النظير نحو الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية المجاورتين لهم، واستطاعوا التغلب عليهما ووصلوا إلى معظم شعوبهما وقواهما وتركوا آثارهم وبصماتهم فيهما ثم حملوا إليهم مشعل النور والتقدم وتمكنوا من المساهمة الكبيرة في تجديد القيم والمبادئ الإنسانية وسجلوا إضافة نوعية مهمة في صرح الحضارات الإنسانية.

وعندما احتكوا بتلك الشعوب واختلطوا بهم لم يتعصبوا ضد أفكارهم وعلومهم وإنما انفتحوا عليهم وتفاعلوا مع حضارتهم.

ويمكن القول أن الإسلام بدعوته هذه وتوسعه أعطى نكهة جديدة وأبعاداً عالمية وآفاقاً إنسانية.

بداية التوجيهات المعادية للعرب والإسلام:

ومع هذا فإن البعض من تلك الشعوب ولأسباب تعصبية ناصبت للعرب العداء، فالذين دخلوا الإسلام من الشعوب المجاورة للعرب كالفرس والأتراك مثلاً فنظرتهم إلى العرب كانت تختلف عن تلك الشعوب البعيدة وغير المجاورة للعرب، فالمجاورون قديماً وحديثاً ظهرت فيهم الكثير من السلبيات بسبب الصراع على السلطة وظهور النزاعات القومية التي أخذت طابع العداء الحاد للعرب كما في الحركة الشعوبية التي رعاها الفرس ثم سياسة التتريك ذات النزعة الطورانية المتعصبة، ولهذا ابتعدوا عن العرب بقدر ابتعادهم عن الإسلام وتقربهم من الغرب في عهد كمال أتاتورك، في حين كان دخول الشعوب غير المجاورة للعرب من الباكستان والهند والصين ودول أخرى بعيدة تمسكوا بالإسلام وأسلموا وآمنوا بصفاء نية وبصورة عفوية، فأحبوا العرب وتباركوا بهم ولا يتقدمون عليهم في الصلاة احتراماً لهم وتقديراً لمنزلتهم كونهم حاملي مشعل الإسلام ومدافعين عنه، يقول الكواكبي: "العرب أنسب الأقوام لأن يكونوا مرجعاً عن الدين، وقدوة للمسلمين حيث كانت بقية الأمم قد أتبعوا هديهم ابتداء فلا يأنفون من أتباعهم أخيراً".

ولهذا فقد كان في بداية الدولة الإسلامية ـ العربية بناء الدول على أسس متينة وقوية فجعلوا الولاة والقضاء وأمراء الجيوش وقادتها وكل المراكز الأساسية في أيدي العرب بدوافع قومية موضوعية، لأن الواقع العملي حتى ذلك الحين كان يفرض نفسه حيث كان العرب بالفعل مادة الإسلام، وعملوا على ترسيخه ونشره، بغض النظر عن وجود أقلية من الأعاجم والمسلمين الذين ليس لهم تأثير في مجرى الأحداث السياسية والشئون العسكرية والإدارية للدولة الإسلامية الفتية في صدر الإسلام على الرغم من مكانتهم الدينية المرموقة والمعترف بصفاتها وصدقها كصهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي، وإنما كان التأثير والحل والربط بيد قادة قريش ولأصحاب القوة القبلية كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وخالد بن الوليد وغيرهم من قادة المسلمين رضوان الله عليهم، وذلك لأن الواقع القبلي في المجتمع العربي يفرض نفسه على الأحداث وسير الأمور، فالشعوب غير العربية التي دخلت الإسلام بنية صادقة كما قلنا وإيماناً منها بالإسلام ورسالته السماوية أخذت تتعاطف مع العرب وتحمل لهم مشاعر الحب والاحترام والتقدير بحكم العقيدة الدينية المشتركة واستمرت إلى هذا الوقت من خلال أجيالها الواعية برسالة الإسلام، فراحت تساندهم وتناصرهم في قضاياهم المصيرية بصدق وهي اليوم قوة ضاغطة وظهيراً وعمقاً استراتيجياً أو بعداً جغرافياً وسياسياً للأمة العربية في مختلف أنحاء العالم، فتضطر الحكومات التابعة لها مراعاة هذه العواطف الدينية والاستجابة لمشاعر جماهيرها المسلمة المليونية ومطالبها المشروعة باستثناء بعض الحالات والظروف التي تدفع ببعض الحكومات والجمعيات والمراكز والمنظمات المعادية باتجاه الحقد والخصومة لدوافع مصلحية ووطنية معادية مع العواطف الدينية المشتركة.

والحقيقة لو توافر لتلك الجهات الحد الأدنى من الإخلاص والوعي بتضامن تلك الشعوب الإسلامية مع العرب لتعززت الصلة وأواصر الرابطة الإسلامية بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتكون قوة ضاربة من العرب والمسلمين من غير العرب للوقوف بوجه الجهات المعادية المتنوعة،ومع هذا لا نستبعد أن بعض التيارات الخبيثة والمغرضة من الأعداء إلى إثارة الخلاف بين العرب والشعوب الإسلامية من أجل ضرب التعاون واستبعاد التضامن الذي ندعو إليه.

ومن الضرورة أن يدرك المسلمون أينما كانوا أن العرب الغيارى على الإسلام حريصون عليهم جميعاً استجابة لرسالة الإسلام ونداء الحق وأنهم أخوة مخلصون، وأن تكاتفهم وتعاونهم هو تعزيز للإسلام ولنضالهم المشروع من أجل التحرر والاستقلال والتقدم، وبالتالي المحافظة على الرابطة الروحية الإسلامية المشتركة التي تصب في مصلحة العرب وغير العرب على السواء.

ولنرجع قليلاً إلى الوراء لنذكر أن كل الأدباء والعلماء الذين ولدوا خارج الوطن العربي أو كانوا من أبويين أعجميين، ثم عاشوا تحت مظلة الدولة العربية الإسلامية وتشبعوا بالثقافة العربية، وكتبوا باللغة العربية وعالجوا مشكلات المجتمع وهمومه في هذه الدولة كانوا على وعي تام برسالة الأمة وبلغة التنزيل وبالأمة التي حملت لواء الإسلام ودافعت عنه فجاءت كل نتاجاتهم ونشاطاتهم الأدبية واللغوية والعلمية بمدح العرب وفخرهم بهم وإعلاء شأن اللغة العربية لما فيه الصالح العام، كسيبويه والزمخشري أو البيروني أو الثعالبي على الرغم من اختلاف الباحثين وأصحاب التراجم بشأن، نسبة هذا الأخير، فمنهم من يرى أنه من أصل فارسي[64] ويلقب بجاحظ نيسابور نسبة إلى المدينة (نيسابور) التي تقع في شمال شرق إيران".

ومنهم من يرى أنه من أصل عربي[65]، وأنا أؤيد أصله العربي، ولا تناقش فيه أو تبيان الأسباب لضيق المجال.

ومهما يكن من شيء فإننا نقتبس نصاً له لأهميته جاء في مقدمة كتابه (فقه اللغة وسر العربية) [66].

"أما بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على محمد وآله وأصفيائه: أن مَن أحب الله تعالى أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ومن أحب الرسول أحب العرب ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عُني بها، وثابر عليها، وصرف همتَه إليها، ومَن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان، وآتاه حُسنَ سريرة فيه، أعتقد أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير الرسل والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل، وللاحتواء على المروءة وسائر المناقب كالينبوع للماء والزَّند للنار....".

التصوير القرآني:

جاءت أكثر الصور التشبيهية عن العرب في القرآن الكريم مطبوعة بطابع البيئة العربية و"لما كان اللسان هو الأداة المعبرة عن كل ما في الحياة كان من البديهي أن ينقل لنا معالم الطبيعية ومظاهر المجتمع".

وأن لغة القرآن وأسلوبه يعبران عن واقع الحياة العربية، فخاطبهم على قدر عقولهم وفهمهم وبالصورة التقريبية لأذهانهم ومداركهم: "ولأن القرآن ما جاء إلا على طرقهم وأساليبهم"، ولا يمكننا هنا أن نلم بكل تلك الصورة والتشبيهات التي وردت في القرآن وندخل في تفاصيلها، ونكتفي بالإشارة إلى بعض النماذج بعبارات موجزة، وعلى سبيل المثال جاء أسلوب التحذير والإنذار حول العقوبة في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً) [67].

وفي الآية: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلاً) [68].

فهذا الأسلوب وبهذه الصورة يتماشيان مع فهمهم ففي الآية الأولى كيف يكون العذاب يوم القيامة، وفي الآية الثانية يتبين أسلوب الترغيب والتشويق للعربي الذي يعيش في المجتمع الصحراوي الذي يتمنى المياه والظل الدائم وهو يواجه الحر الشديد إلى جانب النساء المطهرات والخلود في الحياة كما يتمنى كل إنسان، فالاهتمام الشديد بالماء والاهتمام به في ذلك المجتمع بندرته وضرورته في جزيرة العرب فعبارة: (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ) [69] فلفظه الأنهار وردت أكثر من خمسين مرة، وهناك تشبيهات أخرى كثيرة كاللؤلؤ والمرجان والجمال والخيول والأعناب والنخيل...ألخ، وذلك لاستخدام العرب هذه الألفاظ كثيراً في حياتهم وكذلك فقد ورد الكثير من الصور والتشبيهات والأقاصيص ما يلائم واقع حياة العرب.

المشاكل والتحديات:

لنرجع إلى النص الذي أورده البخاري (256هـ) في صحيحه عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بوصيته الخليفة من بعده وقسم العرب ثلاثة أقسام: مهاجرين وأنصاراً وأعراباً، فالشيء الذي يجلب الانتباه الذي ذكرناه سابقاً أن (الأعراب) هم أصل العرب ومادة الإسلام كما وورد في الوصية وربما يدلل هذا على مبلغ تأثر المحدثين آنذاك بالقضايا التي روجتها الشعوبية حول العرب أصولاً وحضارات وإنجازات فالشعوبية كما نعرف تناولت مثالب العرب والانتقاص من مآثرهم،أو المطالبة بأن يكونوا على قدر المنزلة من العرب والانتقاص من مآثرهم أو المطالبة بأن يكونوا على قدر المنزلة من العرب أو المساواة بهم في ظل الإسلام.

كل ذلك يرجع إلى اهتمام المحدِّثين بالرد على الشعوبية منذ القرن الثالث الهجري[70]، ثم استمر هذا التوجه فيما بعد في القرون اللاحقة يتراوح بين ضعف الشعوبية وتراجعها أو قوتها وتصاعدها بحسب الظروف الاجتماعية الثقافية والسياسية والاقتصادية المحيطة بهم في كل زمان ومكان.

أما ما يقصد به (أن الأعراب أصل العرب ومادة الإسلام).

فبتقديرنا أن المحدِّثين ركزوا عليها بسبب اشتداد الهجمة الشعوبية وإحساسهم بالخطر المحدق بالعرب الذين يسكنون البادية أو في أطرافها أو في القرى والمدن المحيطة بها من البدو والحضر، فإن جميعهم يواجهون الخطر نفسه، وقد ظهر هذا الاهتمام عند الكثير من الكتّاب والشعراء والمهتمين بالحديث على مر السنين، والعلوم الأخرى التي تناولت هذه المسألة بمواضيع مختلفة، وذلك لمواجهة الحملات والهجمات التي تركزت على العرب ومن بينهم الأعراب، كالجاحظ (255هـ) وابن قتيبة مثلاً وسبقهما الشافعي (204هـ)، واحمد بن حنبل (241هـ) اللذان مهدا لهذا الاتجاه للتصدي للشعوبية بعد عصر التابعين، وخاضا غمار الصراعات الثقافية والسياسية منذ وقت مبكر، حين أحسا بخطورة الموقف الموجه لضرب دور العرب الحضاري وارتباطهم الوثيق بالإسلام لساناً وعقيدة ورسالة ومسئولية ويتبين ذلك في آيات كثيرة منها:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ) و (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنْ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ).

ونرى فريق من الغياري على الدين الإسلامي وعلى حملة لوائه العرب وعلى لغة التنزيل، فجمعوا آثاراً كثيرة في فضل العرب وفي كارهيهم وسوف نتناول بعض الإعلام والشخصيات المهمة كأحمد بن حنبل وتلاميذه كما ذكرنا سابقاً.

وابن قتيبة (276هـ) يرى أن العرب جمعوا الأمرين: شرف الخصائل والصفات والمروءات قبل الإسلام، وشرف اختصاص الله عز وجل لهم بالنبوة، بل أن كرم خصالهم كان وراء اختصاصهم بذلك، فقد قال عز وجل: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ)، وأكرمها الله بأن ابتعث فيها النبي صلى الله عليه وسلم فجمع كلمتها ومكن لها في البلاد.

وأبو حيان التوحيدي (414هـ) يفضل العرب على سائر الأمم قبل الإسلام منهم: "أعقل الأمم لصحة الفطرة، واعتدال النية، وصواب الفكرة، وذكاء الفهم".

ثم اختصهم الله عز وجل بالإسلام فتحولت جميع محاسن الأمم إليهم، ووقعت فضائل عليهم من غير أن يطلبوها أو يكدحوا في سبيلها".

والثعالبي (428هـ) أو (430هـ) "فقد ذكر فضل العرب في مواقع كثيرة فهو يقول: من أحب الله تعالى أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن أحب الرسول أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم....ألخ".

والفارابي (339هـ) فرق بين الملة والأمة، فالملة عنده إتباع الدين الواحد ويكون العربي أمة متمايزة.
والمسعودي (345هـ) يقول: "غير أن الله صدهم... إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، فأزال معالم الكفر ومحا رسوم الملل ولم يزل الإسلام مستظهراً إلى هذا الوقت فتداعت دعائمه وهي أسّسه...".
وأبو الحسن العامري (381هـ) يقول: "وقد كان العرب قبل الإسلام جيلاً أي أمة بمقتضى اللسان والجغرافية، لكنهم كانوا أمة طبيعية أو بدائية إذا صح هذا التعبير، ليس لهم ملك ينظم بدوهم، ولا سائس يقيم أودهم، فرزقوا رسولاً من رب العالمين، مبعوثاً بالحق والهدى، ليعلمهم الكتاب والحكمة، فآواهم وأيدهم بنصره، ومكنهم من الممالك".
وصاعد بن أحمد التغلبي الأندلسي (462هـ) يذهب إلى أن العرب أمة حقيقية من بين ثمان أمم أخرى اشتهرت بعلم من العلوم وقيامها بدور حضاري، والعامل الأساسي في الأمم عنده اللغة واللسان، ويعطي دوراً كبيراً للعرب البائدة من جهة ولملك اليمن و حضارتها من جهة أخرى".
وابن عساكر في تاريخه الكبير وفي مقدمته يذكر أحاديث وآثاراً في فضل العرب، وفي بقائهم بعد هلاك الناس، وفي أنه لا يصلح آخر هذا الأمر إلا بما صلح به أوله، وفي أن ملك الإسلام باق ما بقي العرب".
وابن فضل الله العمري (449هـ) في كتابه مسالك الأبصار يقول في العرب: "لم أرهم إلاّ غزاة مجاهدين لهم آثار....".
وابن خلدون (808هـ) يعلن تمسكه بمفهوم الدولة الذي يرتبط عهده بالدولة الإسلامية وتعصبه للعرب، ودورها في تاريخ الإسلام الأول والشاطبي (790هـ) يدافع عن العربية، ويهمه بيانها،ويتألم لما أصاب العرب في.
أوساط الفقهاء من انحطاط لتواري العرب في مقاعد الصدارة في العلم والسياسة ويعتبر أن كل اللغات تابعة للغة العربية، فالفقيه عنهد أن يكون عربياً أو كالعربي في لسانه".
وابن منظور (711هـ) يعتبر اللغة العربية هي الرابط الأساسي الذي يستمر من خلال العرب وتستمر هويتهم الخاصة، وقد تكون في جزيرة العرب، وتعلموا من أهلها من آل قحطان العاربة.
وابن تيمية (728هـ) يبرز تميز الأمة الإسلامية، والنهي عن التشبيه بالكفار والتشبه بالأعراب المذموم ليس جنس الأعراب بدليل أن الله سبحانه وتعالى يثني على بعض الأعراب في قوله: (وَمِنْ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ)، والأعراب جنس من العرب أو هم باديتهم لأن لكل امة بادية والعرب أفضل من العجم".
واسم العرب عنده يُطلق في الأصل على قوم جمعوا ثلاثة أصناف: أن لسانهم كان باللغة العربية، وأنهم كانوا من أولاد العرب، وأن مساكنهم سائر البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب".
والحافظ العراقي: (804هـ) في كتابه: (القرب من محبة العرب)[71] يجمع فيه فضل العرب وفخرهم في الآثار والمرويات وحب الرسول لهم صلى الله عليه وسلم، ويختصره ابن حجر الهيمني في مطلع العصر العثماني.
وبالإضافة إلى الشعوبية هناك مشاكل وتحديات أخرى تواجه الأمة العربية سنتطرق إليها بشكل نقاط وذلك لضيق المجال في هذا البحث وسنخصص لها موضوعاً لاحقاً إن شاء الله.
واليوم تواجه أمتنا العربية تياراً معادياً يستهدف حضارتها ولغتها، ووجودها وإرادتها من قبل جهات معادية تتمثل بالاستعمار وأذنابه وبعض المنظمات والجمعيات والمراكز العالمية والإقليمية والمحلية بأساليب مباشرة وغير مباشرة تستخدم وسائل الإعلام الرسمية والخاصة والمقروءة والمسموعة والمرئية وتعتمد على طرق وأساليب علمية متطورة وتُسَخر الكثير من العلوم والعلماء لخدمتها في مجالات علم النفس وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا وغيرها من العلوم.
فموقف الاستعمار واحد من قضايا العربية وبالذات وجودنا العربي ولغتنا العربية، وأما هدفه فهو الهيمنة والاستغلال والوقوف بوجه حريتنا وتطلعاتنا المشروعة ونهوضنا العربي[72].
وقد ذهب إلى ذلك عبدالله النفيسي بقوله: "في كل مكان حط فيه الاستعمار الغربي ـ الإنجليزي و الفرنسي والهولندي والأمريكي" بدأ حربه ضد اللغة العربية الفصحى ومعاهدها ورموزها ورجالاتها لكي يتمكن من تقطيع أوصال هذه الأمة وتجزئتها وعزلها عن دينها الإسلامي وبعزلها عن كتابها ودليلها ومرشدها القرآن العربي المبين، وبالتالي تكريس تبعيتها الثقافية والروحية والحضارية والاقتصادية للعالم الغربي)).
ويضيف: "لقد نشط كرومر وكيتشنر وجوردن ودنلوب في مصر والسودان في محاربة اللغة العربية محاربة دؤوبة، وحرصوا على تفريخ جيل من المصريين والسودانيين لكي يقوموا بإكمال المهمة، وما سنيون ـ المستشرق الفرنسي الشهير ـ رغم المامه وإدراكه أهمية اللغة العربية ونصاعة أدبها ورفعة مضامينها الحضارية، لم يكن في واقعه إلا مستشاراً لحركة الاستعمار الفرنسي في الشمال الأفريقي (تونس والمغرب والجزائر) وكان وراء معظم القراءات السياسية التي اتخذها الاستعمار الفنرنسي ضد اللغة العربية ومدارسها هناك"[73].
وبالتأكيد أن هذا التوجه الاستعماري البغيض أفرز الكثير ممن يتعاطفون معه وينفذون توجيهاته من الأجانب والعرب أمثال الفرنسي رينان والهنغاري غولدزيهر والإيطالي غويدي والإنجليزي مرغوليت

والألماني شبينجلر ومن العرب أحمد لطفي السيد وسلامة موسى وأنيس فريحه ومارون غضن وسعيد عقيل وغيرهم.

ولو قيض لك أن تعرف هذه الدراسات بعضها ببعض، وتدرس هوية أصحابها، وتتعرف غاياتها، لهالك الأمر، وعرتك الدهشة، وانتابك العجب، على الرغم من اتخاذهم جميعاً الأسلوب العلمي وسيلة, والبحث الفكري الخالص خطة وطريقاً".

ولنا خذ سلامة موسى كمثال على ذلك التوجه في قوله: "إن اللغة العربية تعطل شعب مصر عن الرقي الثقافي"، وذهب إلى أكثر من هذا في دعوته المطالبة باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ويقول: "وبالجملة نستطيع أن نقول إن الخط اللاتيني هو وثبة في النور نحو المستقبل، ولكن هل العناصر التي تنتفع ببناء الخط العربي والتقاليد ترضى بهذه الوثيقة"[74].

الخاتمة :

استعرضنا خلال مباحث الدراسة جوانب متعددة لمعرفة الصلة بين العروبة والإسلام وفي ختم الدراسة نجمل أهم النتائج إلى توصلنا إ ليها وهي :

- إن هذه الصلة لا بد أن يبقى ماثلاً في الذهن ذلك التراث الثقافي والحضاري الضخم الذي تكون وتراكم على مر العصور والأزمنة، وأصبح يعرف باسم الحضارة العربية ـ الإسلامية حيث تفاعلت مع كثير من الحضارات البشرية التي عاصرتها وبخاصة تلك التي جاورتها.
- كان فهم العروبة والإسلام في زمن المسلمين الأوائل فهماً سليماً، قائماً على التلاحم والتطابق، ولا مكان لافتعال التعارض بينهما.
- كان قادة الدولة العربية الإسلامية متقيدين بتعاليم الإسلام وقيمه ولا تناقض لديهم بين القول والفعل.
- استطاع العرب المسلمون استغلال طاقاتهم وتحقيق انتصاراتهم ونشر رسالتهم على أفضل وجه ممكن.
- إن ا للغة تجسد الهوية الوطنية والشخصية القومية للأمة التي تتكلم بها.
- إن لغتنا العربية صدى الحياة الاجتماعية للشعب القوي، وأنها روح الأمة، ووعاء الحضارة والثقافة.
- إن نزول القرآن الكريم باللغة العربية لم يكن صدفة واعتباطاً بل، نزل من حكمة ولأسباب ومبررات اجتماعية وتاريخية.
- إن العرب هم الذين بنوا أول دولة إسلامية على وفق الشريعة السمحاء،وهم الرواد والسباقون والمضحون من أجل الدين الاسلامي الحنيف الذي ولد في رحم العروبة وترعرع في أحضانها وتغذى من معينها، وتغذت منه.
- إن اصطفاء العرب لرسالة الإسلام أنهم كانوا مؤهلين لفهم تلك الرسالة، والإيمان بها، والدفاع عنها، وقادرين على نشرها.
- كان امتداد العرب والإسلام إلى خارج الرقعة الجغرافية العربية ونشر الدعوة يعد امتداداً طبيعياً لما امتلكه العرب من قدرة وآفاق فكرية تؤهلهم للتوسع، وذلك بسبب القيم الإنسانية التي يحملونها والثقة بالنفس، والاستعداد على البذل والعطاء والتضحية من أجل الإسلام.
- واجهت الأمة العربية الإسلامية حملات ظالمة قديماً وحديثاً من الشعوبية التي نشأت على يدها جماعات انتقدت العرب وهاجمتهم ، وتظاهرت بالإسلام، وعملت على هدمه من الداخل، كما تميزت بالرد والتمرد على كل ما يمت إلى العروبة والإسلام بصلة، وعلى ا لرغم من توجهها المعادي الذي أعاق الأمة ا لعربية الإسلامية مدة من ا لزمن، وتشويه المفاهيم الإسلامية، إلا أنها لم تقو على زعزعة العقيدة الإسلامية.

وأني اسأل الله تعالى أن أكون قد قدمت شيئاً لإجلاء الحقيقة عن الترابط المتين بين العروبة والإسلام، وأنهما وجهان لعملة واحدة.

وبعد : فقد أوجب الله ـ عزوجل ـ على الخلق حب العرب ونصحهم، وحرم عليهم بغضهم وغِشَم، فجعل حبهم حب الرسول صلى الله عليه وسلم وإيماناً موجباً لحصول السُّول. وجعل بغضهم نفاقاً ومفارقة للدين.

ندعو الله تبارك وتعالى أن يبارك الجهود لخدمة أمتنا العربية الإسلامية، والعقيدة السمحة الرضية، وأن يآخذ بأيدينا إلى مافيه الخير، إنه سميع مجيب.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش :

1. الاسلام والعروبة والعلمانية، السنهوري، ص8
2. الخلط بين العربي والأعرابي
3. المغرب في ترتيب المعرب، للمطرزي
4. اسم موضع يقال له تهامة
5. لسان العرب، ابن منظور ج1، مادة عرب
6. صحيح البخاري
7. تهذيب اللغة، الأزهري
8. اقتضاء الصراط، ابن تيمية، ص 169.
9. المصدر نفسه
10. تهذيب تاريخ دمشق بن عساكر ص 200.
11. Markowe : Anab Nationalism
12. السانيات، أسسها المعرفية، عبدالسلام المسدي، ص31
13. The study of language
15. شارل مالك، المقدمة، ص244
16. محاضرات في علم اللغة العام، سوسير.
17. الخصائص، ابن جني 33/1.
18. مقدمة ابن خلدون، ص438.
19. فندريس، اللغة، ص3
20. المصدر نفسه ص 31-32
21. مقدمة اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل المستقبل العربي (46)
22. التداولية عند العلماء العرب، مسعود الصحراوي / ص71.
23. انظر، اللغة والوجود العربي،ياسين خليل، المستقبل العربي (46)
24. الكواكبي
25. المقدمة لابن خلدون
26. سورة يوسف / الآية 2
27. سورة فصلت / الآية 12
28. سورة الرعد / الآية 44.
29. سورة الرعد / الآية 37.
30. سورة الأحقاف / الآية 12
31. سورة طه / الآية 113.
32. سورة الزمر / الآية 28.
33. سورة الشورى / الآية 7.
34. سورة الزخرف / الآية 3.
35. سورة الشعراء / الآية 165.
36. سورة النحل / الآية 36.
37. سورة الأنعام / الآية 124
38. سورة إبراهيم/ الآية 4.
39. تفسير الطبري / ص7 ، وما بعدها الجزء 25.
40. المصدر نفسه / ص 5، المجلد الأول.
41. سورة الشعراء / الآية 193
42. سورة الدخان / الآية 58
43. الكشاف الزمخشري، الجزء الثاني، ص363.
44. سورة الأحقاف / الآية 12
45. الكشاف للزمخشري
46. تفسير الطبري
47. سورة الشورى / الآية 7
48. سورة قريش / الآيات 1-4
49. العروبة والإسلام / محمد خلف الله، ص15
50. سورة الزخرف / الآية 4
51. سورة البقرة / الآية 143

52. أمة الوسط في القرآن، صالح الخمري، ص1
53. سورة آل عمران / الآية 110
54. سورة آل عمران / الآية 104
55. تفسير الطبري
56. انظر القرب من محبة العرب، الحافظ زين الدين العراقي
57. سورة الأنعام / 124
58. سورة إبراهيم / الآية 4
59. سورة قريش / الآيات 1-4
60. سورة النساء / الآية 4
61. سورة الزخرف / الآية 44
62. ابن تيمية، اقتضاء الصراط
63. سورة الانفال / الآية 63،62
64. الروض المعطار / محمد الحميري
65. الثعالبي ناقداً، محمود الجادر / ص 20-21
66. فقه اللغة وسر الغربية، الثعالبي، مقدمة الكتاب، ص21
67. سورة النساء/ أية 4.
68. سورة النساء/ آية 56، 57.
69. سورة إبراهيم / 4.
70. لمزيد التفصيل انظر : العرب والعروبة والعربية، رضوان السيد، دراسات يمنية، العدد 39.
71. مصدر سبق ذكره للحافظ زين الدين العراقي.
72. البعد السياسي لقضية اللغة العربية، عبدالله النفيسي " المستقبل العربي، 46.
73. المصدر نفسه
74. اللغة العربية بين الواقع والإدعاء، محمد محمد الخطابي، اللسان العربي، السنة 14.

المصادر والمراجع :

1. القرآن الكريم
2. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، مكتبة المدني ومطبعتها، جدة، شباط، 1980م.
3. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق الاستاذ / محمد علي النجار، دار ا لكتب، القاهرة ، 1957م.
4. ابن خلدون، عبدالرحمن، المقدمة، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
5. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء اسماعيل تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة، بيروت، 1969م.
6. ابن فارس، أبو الحسين أحمد، مقاييس اللغة تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة نهضة مصر / 1995م.
7. ابن منظور لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1977م.
8. الاصبهاني، الحسين بن محمد الراغب، المفرادات في غريب القرآن، إعداد محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
9. الأطرقجي، واجدة مجيد، التشبيهات القرآنية، وزارة الثقافة والفنون العراقية ، دار الحرية، للطباعة، بغداد، 1987م.
10. البخاري، صحيح البخاري، إدارة الطباعة المنيرية، ط3، 1982م.
11. الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق ومراجعة عمر حافظ سليم / شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010م.
12. الجاحظ، أبو عثمان عمر، البيان والتبيين، دار إ حياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
13. الجادر،محمود، الثعالبي ناقداً وأديباً، دار النضال.
14. الحميري محمد، الروض المعطار في خير الأقطار، مكتبة لبنان، ناشرون.
15. الخطابي محمد محمد، اللغة العربية بين الواقع والادعاء، اللسان العربي، السنة 14، 1977م.
16. السيد رضوان، العرب والعروبة والعربية، دراسات يمنية، العدد 39، يناير / فبراير / مارس، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990م.
17. الصلابي، على محمد، الوسطية في القرآن الكريم، مكتبة الإيمان، تحقيق طه عبدالرؤوف، مكتبة الإيمان، المنصورة / مصر، 2003م.
18. صليباً، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
19. عبدالباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، 1987م.
20. العراقي، الحافظ زين الدين عبدالرحيم بن الحسين، القرب في محبة العرب / تقديم وتحقيق د. سامي مكي العاني، وزارة الثقافة والإعلام، إدارة الآثار والتراث، العراق.
21. غلاب، عبدالكريم، الفكر العربي بين الاستلاب وتأكيد الذات، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، 1977م
22. فندريس، ا للغة، ترجمة عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصار، مطبعة لجنة البيان، القاهرة، 1950م.
23. محمد أحمد خلف الله، العروبة والإسلام، دار صادر، رابطة الأدباء في الكويت، 1984م.
24. مركز دراسات الوحدة العربية، (مقدمة) اللغة العربية أسئلة التطور الذاتي والمستقبل، سلسلة المستقبل العربي (46)، ط1، بيروت، تشرين الثاني / أكتوبر/2005م..
25. النفيسي، عبدالله، البعد السياسي لقضية اللغة العربية، مركز دراسات والوحدة العربية، سلسلة المستقبل (46)، ط1، بيروت، تشرين الأول /أكتوبر /2005م.
26. ندوة العربية والإسلام، القومية العربية والإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1981م.
27. ياسين خليل، اللغة والوجود القومي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة المستقبل العربي (46) ط1، بيروت، تشرين الأول / أكتوبر 2005م .

المراجع

1. Carol. J. the study of language
2. De saussure ,F., cours in general linguistics. pp. 7-15.
3. Enc. Americana(language , science of). دائرة المعارف الأمريكية
4. Enc. Britanica (language) دائرة ا لمعارف البريطانية